شعراء النصرانيَّة بعد الاسلام

شعراء الدولة الاموية (تابع)

الاخطل (تتمَّة)

للاب لويس شيخو اليسوعيّ

﴿ نخبة من شعره ﴾ انَّنا لو حاولنا ان نختار شيئاً من ديوان الاخطل اصابنا ما اصاب تلك الاعرابيَّة التي سُئلت عن اي اولادها احبُّ اليها والافضل لديها فكانت اذا ذكرت الواحد منهم بعد الآخر قالت انَّهُ الاحبُّ اليها والافضل حتى انتهت الى قولها بعد حَيْرتها : انَّهم كالحلقة المُفرَغة لا يُدرى اين طرفاها . فكذلك اذا اعتبرنا قصائد الاخطل وجدنا كلًّا منها جديرة بالذكر لمحاسنها . على انَّنا في آخر امرنا اضطرَرْنا ضيق المجال ان نُثبت نُتفاً قليلة من شعره نجعلها كمثال في كل باب

﴿ اقوال الاخطل في الوصف ﴾ للشاعر التغلبي في هذا المعنى اقوال جميلة من الشعر الحرّ حتى قيل عنهُ انهُ فاق على سواهُ من الشعراء بالوصف فلهُ في الزهد (الديوان ١٧٦—١٧٧) (من الطويل) :

أعاذِلَتَيَّ اليومَ وَيحكما مَهلًا ... وكُفَّا الأذى عني ولا تُكثِرا عَذْلا

ذَراني تَجُدْ كفّي بمالي فانني ... سأصبحُ لا أستطيعُ جُودًا ولا بُخلا

اذا وضعوا فوق الضريحِ جنادلًا ... عليَّ وخلَّيتُ المَطيَّةَ والرَّحلا

وأبكيتُ من عِبْانَ كلَّ كريمةٍ ... على فاجعٍ قامت مشقَّقةً عُطْلا(١)

مُدَمّيةً حُرًّا من الوجه حاسرًا ... كأن لم تُبِتْ قبلي غلاماً ولا كَهلا

---

١) عبان قوم من بني تغلب . والفاجع امرأتهُ الثكلى . والمشقّقة التي تشقّ ثيابها حزناً . والعطل المجرَّدة من الحُلى

وقد كُنتُ فيما قد بنى لي حافري ... اعالِيَهُ توًّا واسفلَهُ دَحلا (١
فلا انا مجتازٌ اذا ما نزلتُهُ ... ولا انا لاقٍ ما ثوَيتُ بهِ أهلا
وقد قسَموا مالي وأضحت حَلائلي ... قد استبدلَتْ غيري ببهجتها بَعلا
أعاذِلَ انَّ النفس في كفِّ مالكٍ ... اذا ما دعا يوماً اجابت لهُ الرُّسلا
ذَريني فلا مالي يَرُدُّ منيَّتي ... وما إن أرى حيًّا على نفسهِ قُفلا(٢
وليس بَخيلُ النفس بالمال خالدًا ... ولا من جوادٍ فاعلمي مَيِّتٍ هَزلا
ألا رُبَّ مَن يَخشَى نوائبَ قومهِ ... وريبُ المنايا سابقاتٌ بهِ الفِعلا
ويا رُبَّ غادٍ وهو يُرجى إيابُهُ ... وسوفَ يلاقي دون أوْبتهِ شُغلا

وقد اشتهر وصفهُ للفرات عند فيضانهِ (٩٦—٩٧) شبَّه بهِ كرم الخليفة يزيد بن معاوية (من الطويل) :

وما يُزبِدُ يَعلو جزائر حامرٍ ... يَشُقُّ اليها خَيزُراناً وغَرقَدا (٣
تحرَّز منهُ اهلُ عانَةَ بعدَما ... كسا سُورَها الأعلى غُثاءً مُنضَّدا(٤
يُقَمِّصُ بالملَّاح حتى يَشُفَّهُ م ... الجِذارُ وان كان المُشيحَ المعوَّدا(٥
بِمُطَّرِدِ الآذِيِّ جَونٍ كأنَّما ... زَفا بالقراقيرِ النَّعامَ المُطَرَّدا (٦

١) يقول ان حافر قبري قد بناهُ توًّا اي منصوب البناء ودحلًا اي كالسراب تحت الارض
٢) اي يجعل لنفسه قفلًا ليصوغها من الموت
٣) ويروى : جلاميد حامرٍ . وحامرٍ ناحية بين منبج والرقَّة على شاطئ الفرات . والخيزران والغرقد كبير الوسج
٤) عانة قرية على الفرات . والغثاء ما يقذفهُ النهر من الزَّبَد وبقايا النبات والاوراق . والمنضَّد المتراكم
٥) يقمِّص بالملَّاح اي يوقع اضطراباً في السفينة حتى يُخيف الملَّاح من سَورتهِ وان كان مشيحاً اي حاذقاً في تدبير السفن
٦) المطَّرد المتتابع . والآذيّ الموج . والجون الابيض المُزبد . وزفا حثَّ . اي يدفع الفرات بامواجهِ المتوالية المزبدة سفينة الملَّاح المُشبَّهة بشراعها الابيض طير النعام الناشر جناحيهِ عند طردهِ

كأنَّ بناتِ الماءِ في حَجَراتِهِ أباريقُ اهدَتْها دياقٌ لصَرْخَدا (١
بأجودَ سَيْباً من يزيدَ اذا غدَتْ بهِ بُخْتُهُ يَخْمانَ مُلْكاً وسُؤْدَدا (٢

وكما اجاد الاخطل بوصف صيد ثور الوحش فلهُ فيهِ كلٌّ حسنة كقولهِ (٢٦٠–٢٦٢) يشبّه ناقتهُ بعد طول سيرها بضمور الثور (من البسيط) :

كأنَّها بعدَ ضمِّ السَّيرِ جَبْلَتَها من وَحشِ غَزَّةَ موشيُّ الشَّوى لَهِقُ (٣
باتت لهُ ليلةٌ هاجَتْ بَوارحُها ورُزِّمٌ من سَحابِ العَينِ يأتَلِقُ (٤
يلوذُ ليلتُهُ منها بفَرْقَدَةٍ والقُصنُ يَنطِفُ فوقَ المَتْنِ والوَرَقُ (٥
باتَ الى جانبٍ منها يكفُّهُ ليلٌ طويلٌ وقلبٌ خائفٌ أَرِقُ (٦
فالقَطرُ كاللُّؤلؤِ المَنثورِ يَنفُضُهُ اذا أقشَعَرَّ بهِ سِربالُهُ اللَّبِقُ (٧
حتى اذا كادَ ضوءُ الصُّبحِ يَفضَحُهُ وكادَ عنهُ سوادُ الليلِ يَنطلِقُ
هاجَتْ لهُ ذُبَّلٌ مُسْحٌ جواعِرُها كأنَّما هنَّ من نَبعيَّةٍ شِقَقُ (٨
فظَلَّ يَهوي الى أمرٍ يُساقُ لهُ وأتبَعَتْهُ كلابُ الحيِّ تَستَبِقُ (٩

١) بنات الماء الطير . والحجرات نواحي النهر . شبّه الطير بابارق من الخمر يرسلها اهل دياف الى اهل صرخد وهما قريتان في حوران ٢) البُخت الابل الخراسانية
٣) يقول انَّ ناقتهُ بعد ان اضنى السَّير جبلتها اي بدنها اشبهت ثور وحش يُرى في انحاء غزّة . وجلدُ شواهُ اي قوائمهُ . مَوْشيّ اي شيء بالوشي . واللَّهق والهق الشديد البياض .
٤) البوارح الرياح الشديدة ثمَّ استعار للسحاب عيناً . رُزِّم اي سُمع صوت الرعد حيناً وتأتلق اي تبرق حيناً آخر ٥) اي يأوي ليلتهُ تحت فَرقدة اي عوسجة كبيرة يقيه يترل على جسمهِ منها نقط المطر التي تقطر عليهِ من اغصان الفرقدة واوراقها ٦) منها اي من الفرقدة . يكفّهُ يقلبهُ ذات اليمين وذات الشمال لطول الليل وخوفهِ من الريح والمطر . ورمٌ أرِق اي ساهر يقظان ٧) سربالهُ جلدهُ . واللَّبِق البالي ٨) هاجت لهُ اي ثارت كلابٌ ذُبَّل اي ضامرة . مُسْح جواعرُها اي دقيقة المؤخَّر تشبه بضمورها القِسيَّ المتَّخذة من شجرة النَّبع ٩) يهوي الى امرٍ يساق لهُ اي يهبط سائرًا الى موتهِ

يُفَرِّجُ الموتَ عنهُ قد تحضَّرهُ ... وكِدْنَ يَلْحَقْنَهُ او قد دَنا اللَّحَقُ (١
لمَّا لَحِقْنَ بهِ أَنْحى بمِنْوَلِهِ ... يَمْلا فرائِصَها من طعنهِ العَلَقُ (٢
فكرَّ ذو حربةٍ يحمي حقيقتَهُ ... اذا نَحا لِكُلاها الرَّوْقُ يَمْتَزِقُ (٣
فهُنَّ من بينِ متروكٍ بهِ رَمَقٌ ... صَرْعى وآخرَ لم يُتْرَكْ بهِ رَمَقُ (٤

ومن اوصافهِ قولهُ (ص ٣—٤) في خمر بَيْسان من قرى فلسطين (من الطويل):

وجاؤوا ببَيْسانيَّةٍ هيَ بعد ما ... يَعُلُّ بها الساقي أَلَذُّ وأَسْهَلُ (٥
فصَبُّوا عُقارًا في الإناء كأنَّها ... اذا لَمَحوها جُذْوةٌ تتأَكَّلُ (٦
تمرُّ بها الأَيدي سَنيحاً وبارحاً ... وتوضَع بالـلُّهُمِّ حيٍّ وتُحْمَلُ (٧
وتُوقَفُ أحياناً فيَفْصِلُ بيننا ... سَماعُ مُغَنٍّ او شِواءٌ مُرَعْبَلُ (٨
فلذَّت لِمُرتاحٍ وطابَت لشاربٍ ... وراجعَني منها مِراحٌ وأَخْيَلُ (٩
فما لَبِثَتا نَشْوةٌ لَحِقَتْ بنا ... تَوابِعُها مِمَّا نُعَلُّ ونُنْهَلُ (١٠

---

١) فرَّجهُ ابعدهُ . تحضَّرهُ اي شعر بحضورهِ . اللَّحَق الإدراك

٢) انحى اليها بمِنْوَلهِ اي قصد الكلاب بترنهِ . والعَلَق الدم

٣) اراد بحربته قرنهُ . وكذلك الرَّوْق القرن اي كرَّ الثور دفاعاً عن نفسهِ وحماه وقصد كُلاها اي جلد صدورها فامتزقها وخرَّقها ٤) حي اي الكلاب وقع بعضها صريعاً مُدنَفاً وبعضها ميتاً . الرَّمق بقيَّة الحياة

٥) اي انَّ هذه الخمر أطيب اذا كرَّر الساقي سَكْبها فيَعُلُّ بها الشاربين اي يسقيهم ثانيةً

٦) العُقار الخمر العتيقة . شبَّهها في انائها بشعلة من النار المتَّقدة

٧) اي تتناولها الايدي تارة من اليمين وتارة من الشمال . ويُذكر عليها اسمُ الله عند رَفْعها ووَضْعها ٨) اي لا يتوقَّفون عن شربها الَّا لسماع الغناء او لأكل قِطَع من اللحم المشويّ رَمْيل اللَّحمَ قطَّعهُ لينضج على النار

٩) المِراح النشاط . والأَخْيَل كالخُيَلاء العُجب والكبر

١٠) النشوة السكر . والنَّهل اوَّل الشرب والعَلَل ثانيهِ

فدَبَّتْ دبيباً في العِظام كأنّما دبيبُ نِمالٍ في نقاً يتهيَّلُ (١

ومثلهُ ظرافةً وصفهُ (ص٣٢١) للشمل السكران (من الطويل):

شربنا فمِتْنا ميتةً جاهليَّةً مضى اهلها لم يعرفوا ما مُحمَّدُ (٢
ثلثةَ ايّامٍ فلمّا تنبَّهتْ حُشاشاتُ انفاسٍ أتتنا تَرَدَّدُ (٣
حَيينا حياةً لم تكن من قيامةٍ علينا ولا حَشرٍ أتاناهُ مَوْعِدُ (٤
حياةَ مِراضٍ حَولَهم بعد ما صَحَوْا من الناس شتّى عاذلون وعُوَّدُ (٥
وقُلنا لِساقينا عليك فَعُدْ بنا الى مثلها بالأمسِ فالعَوْدُ أحمَدُ
فجاء بها كأنّما في إنائهِ بها الكوكبُ المِرّيخُ تصفُو وتُزبِدُ (٦
تفوحُ بماءٍ يُشبهُ الطيبَ طيبُهُ اذا ما تعاطت كأسَها من يدٍ يدُ
تُميتُ وتُحيي بعد موتٍ وموتُها لذيذٌ ومَحياها ألَذُّ وأحمدُ

﴿الفخر﴾ وللاخطل في الفخر (ص٣٠٧) قولهُ يذكر قومهُ (من الطويل):

ولكن لنا بَرُّ العراقِ وبَحْرُهُ وحيثُ تَرى القَرْقورَ في الماءِ يسبَحُ
اذا ابتدَرَ الناسُ السِجالَ وجدتَنا لنا مِقْدحا مجدٍ وللناس مِقْدَحُ (٧

١) شبَّهَ فعل الخمرة في العظام بحركات النمل في نقًا يتهيَّل اي في كثيب من الرمل يَنْهار ويتحدَّر ٢) يقول شربنا الخمر فكرنا وكان الكرّ اشبه بالموت . وذلك على سُنَّة العرب في الجاهليَّة اذ لم يبلغهم تحريم محمَّد للخمر . ويروى : خلا اننّا في موتنا ليس نُلحَدُ ٣) يريد خُمار الخمر ونشوتها اي دام فيهم ثلثة ايّام الى ان تردَّدت اليهم بقيَّة حياةٍ فصحَوْا منها ٤) يقول ان الحياة التي عادت الينا ليست كالحياة التي سيحيا بها البشر يوم القيامة اذ يُحشرون من قبورهم ٥) يريد انَّ تلك الحياة بقي فيها اثر سكرهم فوجدوا حولهم لمّا صحَوا قومًا يعودونهم كمراض وقومًا يلومونهم لسكرهم
٦) شبَّهها في إنائها بالسيّارة المرّيخ التي يضرب لونها الى الحُمرة
٧) اي اذا فاخرَنا الناس وجدوا سهمنا من المجد نِصْف سَهمهم

وانّا لَمَمْدودونَ ما بين مَنْبِجٍ فَنافِ عُمانٍ فالحِمى لِيَ أفيحُ (١

ولهُ ايضاً (ص ١٧٨) في الفخر قولهُ (من الطويل) :

وانّي لَمِنْ عَلْياءَ تَغْلِبَ وائلٍ لأَطْولُها بيتاً وأثبتُها أصلا
انا الجُشَمِيُّ الرَّحْبُ في الحيِّ منزلاً اذا احتلَّ مَضْهودٌ بِمُضْنِيةٍ هَزْلا (٢
وعمّايَ نِعْمَ المرءُ عمرٌو ومالكٌ وثعلبةُ المُولي بِمَنْظورةٍ فَضْلا (٣
وقد عَلِمت أفناءُ تغلب أنّني نُضارٌ ولم أَنْبُتْ بِمَرْقرةٍ أثْلا (٤
وأنّيَ يوماً لا مُضيعٌ ذِمارَها ولا مُفْلِتي هاجٍ هجا تَغْلِباً بُطْلا

ومن فخرهِ (٢٤٩—٢٥٠) استقبالهُ للضيف في ليلةٍ شاتية (من الطويل):

ومُسْتَنْبِحٍ بعد الهدوِّ دعوتُهُ بصَوْتِيَ فاستَشى بِنَضْوٍ تَرَغَّما (٥
فجاء وقد بأتْ عليهِ ثيابَهُ سحابَةُ مُسْوَدٍّ من الليل أظلما
وفي ليلةٍ لا يَنْبَحُ الكلبُ ضيفَها اذا نُبِّه المبلودُ فيها تغمغما (٦
فلمّا اضاءتْهُ لنا النارُ واصْطَلى اضاءت هِجَفّاً مُوحِشاً قد تهشّما (٧

---

١) اي نحكم على البلاد الممتدّة بين مدينة مَنْبِج الى الحمى حمان وخصَّ عمان بالقاف وهي شجرة مُشوكة تكثر فيها . ثمّ قال ان حمانا أفيح اي اوسع واوفر

٢) المضهود الطريد المقهور . والمُضْنية المُميتة المُنهكة للقوى . يقول اذا التجأ الى منزلي بئيسٌ وجد عندي منزلاً رحباً ٣) جُشَم وعمرو ومالك وثعلبة كلهم من اجداد الاخطل في سلسلة نسبهِ الى تغلب ٤) افناء تغلب احياؤها . النُّضار الشجر الصلب العود بخلاف الأثْل اي شجرة الطرفاء يكون خشبها خوّارًا اذا نبت في قرقرة اي ارض ليّنة مطمئنّة ٥) المستنبح الطارق ليلاً الصارخ ليستهدي بنبح الكلاب الى مكان الحيّ . والهدوّ اوّل الليل اذ يهدأ الناس . واستشى طلب موضع النار وهو مقبلٌ على ناقةٍ نِضْو اي مهزولة لتعبها وهي تترغّم اي تُردّد رغاءها ضيفًا

٦) وصف شدّة تلك الليلة التي يجمد لبردها الكلب فلا ينبح واذا نُبِّه النائم بَلَدَ في مكانهِ ولصق متغمغماً اي يُسمع صوتًا ضيفاً ٧) يقول لمّا اثارت نارنا وجه ضيفنا رجدناهُ هجفًا اي غليظًا جافيًا . وموحشًا اي باثنًا في النفر مع الوحش

فنبّهتُ سعدًا بعد نوم لطارقٍ اتانا ضئيلًا صوتُهُ حين سلّما (١
فقلتُ لهم هاتوا ذخيرةَ مالكٍ وان كان قد لاقى لَبوساً ومَطعما (٢
فقال ألا لا تجشموها وانما تنحنحَ دونَ المُكرَعاتِ لِتُجشَما (٣
واني لَحلّالٌ بيَ الحقُّ اتّقي اذا نزلَ الاضيافُ ان أتجهّما (٤
اذا لم تذُدْ ألبانُها عن لحومها حلَبْنا لهم منها بأسيافنا دما (٥

﴿المديح﴾ هي قصائد المديح التي قرّبت الاخطل من الخلفاء فرفعوا قدرهُ وخصّوهُ بالطافهم. منها قصيدتهُ الرائيّة في مدح عبد الملك بن مروان (ص ١٠٨–١١٢) وفيها يقول (من البسيط):

الى امرئٍ لا تُعَدّينا نوافلُهُ (٦ أظفرهُ اللهُ فليهنأْ لهُ الظفرُ
الخائضِ الغمرَ والميمونِ طائرُهُ خليفةِ اللهِ يُستَسقَى بهِ المطرُ
والهمُّ بعد نجيِّ النفس يَبعثُهُ بالحزمِ والاصمعانِ القلبُ والحذرُ (٧
والمستمرُّ بهِ امرُ الجميعِ فما يَغترُّهُ بعد توكيدٍ لهُ غَرَرُ (٨
وما الفراتُ اذا جاشتْ حوالِبُهُ في حافتَيهِ وفي اوساطهِ العُشَرُ (٩

١) سعد غلام الاخطل يدعوهُ لخدمة ضيفهِ الطارق ليلاً الخافت الصوت
٢) ذخيرة مالك اي ناقة ادّخرها لابنهِ مالك . يُريد ان يُتحف بها ضيفَهُ
٣) يقول انّ الضيف قال: لا تكلّفوا مثل هذه الضحيّة لكنّهُ تنحنح اي ردّ ذلك وامتنع ظاهرًا عن تضحية المكرَعات وهي الابل وهو يرغبُ باطنًا بان تُفدى لهُ
٤) يقول اذا حلّ بي الضيف وجب عليّ حقُّهُ واحذر ان استقبلهُ بوجه عبوس
٥) اي اذا امتنعت الابل عن إدرار لبنها عقرناها ليشرب ضيفُنا دمها
٦) اي لا تفوتُنا هباتهُ ٧) اي اذا بعثتْهُ نفسهُ الى امر جليل اهتمّ بهِ وساعدَه على القيام بهِ حزمُهُ وذكاء قلبهِ وفطنتهِ. والأصمع الذكيّ من كلّ شيء. ٨) اي انّ الجميع ثابتون على ولائهِ. فلا تفاجئهُ بعد ذلك حلكةٌ. اغترّهُ حلّ بهِ بغتةً. والغرر الفاجئة
٩) حوالبهُ اي امواجهُ. ويروى: غواربهُ. والعُشَر كبار شجر الغضاه

وذَعذَعَتْهُ رياحُ الصيفِ واضطربَتْ ... فوقَ الجآجيِّ من آذِيِّهِ غُدُرُ (١
مُسْتَنْفِرٌ من جبال الروم يَسْتُرُهُ ... منها اكافيفُ فيها دونَها زَوَرُ (٢
يوماً بأجودَ منهُ حين تسألُهُ ... ولا بأجهَرَ منهُ حين يُجْتَهَرُ (٣

ومن مديحهِ المستحسن قولهُ (ص ٢٤٣–٢٤٦) في احد اعيان قومهِ همّام بن مُطَرِّف التغلبيّ (من الطويل) :

فتى الناسِ هَمّامٌ وموضعُ بيتهِ ... برابيةٍ يعلو الروابيَ طُولُها
فلو كان همّامٌ من الجنّ أصبحَتْ ... سُجودًا لهُ جنُّ البلادِ وغُولُها
نمَتْهُ الذُّرى من مالكٍ وتعطَّفَتْ ... عليهِ الروابي فرعُها وأُصولُها
أجادت بهِ ساداتُها فترغَّبَتْ ... لأخلاقهِ أمجادُها وحَفيلُها (٤
سَبوقٌ لغايات الحِفاظِ اذا جرى ... ووهّابُ اعناقِ المئينَ حَمولُها (٥
ودَفّاعُ ضَيْمٍ لا يُسامُ دَنيّةً ... وقطّاعُ أقرانِ الامورِ وَصُولُها (٦
وأخّاذُ أقصى الحقّ لا مُتهضَّمٌ ... اخوهُ ولا هَشُّ القَناةِ ذَليلُها (٧
أغَرُّ أريبٌ ليس يُنقَضُ عهدُهُ ... ولا شاهدًا مغبونةً يَستَقيلُها (٨

١) ذعذعَتْهُ فرّقَتْهُ . وآذيُّهُ امواجهُ . والجآجيّ صدور السفن الجارية على الفرات . والغُدُر جمع غدير ٢) المُستنفر السَّريع الجري . اكافيف الجبال قِمَمُها وتلالها . والزَّوَر المَيْل ٣) الجَهير الجسيم الرائع . واجتهرتُهُ اذا اعجبَك منهُ

٤) اي رَغب الناس كلّهم في خيرهِ . والحفيل الجمع الكثير اي الجمهور

٥) قال شارح الديوان : الغاية الأمَد . والحِفاظ ما وجب عليه ان يحفظَهُ . واعناق المئين جماعتُها فيقول هو حَمول لما يُحمَّل ٦) القَرَن الحبل يريد انّ لهُ القطعَ والوَصْل والامر والنهي ٧) هشّ القناة اي رخوها . ويروى : ذَبُولُها ٨) في الديوان انّ شاهدًا منصوبة على الحاليّة اي لا يشهد خُطّةَ غَبْنٍ ومكر . يَستقيلُها اي تستوجب ان يستقيل ظالمَهُ لاجلها

جوادٌ اذا ما أَمحَلَ الناسُ مُمْرِعٌ كريم لِجَوْعات الشتاء قَتولُها (١
اذا ناشباتُ الدهر شَفَّت عليهمِ كفاهم أذاها فاستُخِفَّ ثقيلُها (٢
يُهينُ وراء الحيِّ نفساً كريمةً لكَبَّةِ موتٍ ليس يُودَى قتيلُها (٣
ويعلمُ انَّ المرءَ ليس بخالدٍ وانَّ منايا الناسِ يَسمى دليلُها
فإن عاش همَّامٌ لنا فهو رحمةٌ من الله لم تُنفَس علينا فُضولُها (٤
وان مات لم تَستبدلِ الارضُ مثلَهُ لأَخذ نصيبٍ او لامرٍ يعولُها (٥

وللاخطل مديحٌ جليل في مَضقلة بن هُبَيرة الشيباني(١٤٣)قد ذكرهُ سابقاً حضرة الاب صالحاني في المشرق (١٤ [١٩١١] : ٨٣٨—٨٤١) ورجّح نصرانيّة مضقلةَ استناداً الى ما رواهُ الطبري في تاريخهِ(١ : ٣٤٣٤—٣٤٣٨)ومنهُ قولهُ (من البسيط) :

دَعِ المُغَمَّرَ لا تسألْ بمَصرَعهِ واسأَل بمَضقَلَةَ البكريِّ ما فعلا(٦
بمُتلِفٍ ومُفيدٍ لا يَمُنُّ ولا تُهلكهُ النفسُ فيما فاتَهُ عَذَلا (٧
جَزْلِ العطاء واقوامٌ اذا سُئلوا يُعطونَ زُرّاً كما تَستوكفُ الوَشَلا(٨
وفارسٍ غيرِ وَقّافٍ بِرَايَتهِ يومَ الكريهةِ حتى يُعمِلَ الأَسَلا(٩

١) أَمحَل الناس أقحطوا . ومُمرِع ذو خصب ونعمة . . وقتُولها اي نُزيلُها بعطائهِ
٢) شفَّت صَعُبت . واستُخِفَّ اي وُجد خفيفاً
٣) وراء الحيّ اي دونَهُ . والكَبَّة الدفعة في القتال . واودى هلك . يقول انهُ يخاطرُ بحياتهِ في سبيل قومهِ ويعرّض بنفسهِ لميتةٍ تخلّد ذكر صاحبها ٤) اي عيشتهُ نعمة من الله لم يبخل الله علينا بفضلها ٥) لأمرٍ يعولُها اي يعشُها . ويجوز يقولها اي يدعمها ويحكمها
٦) المغمَّر الذي ذَمَّلَهُ غيرُهُ . اراد به القعقاع الهذليّ . واسأل بهِ كأسأل عنهُ
٧) لا تُهلكه النفس اي لا تبكّتهُ ولا تلومهُ عن كثرة ما بذلَهُ جوداً وكرماً
٨) استوكفَهُ استطرَهُ . والوَشَل الماء القليل . شبّه عطاء غيره بالماء القليل وعطاء الممدوح بالوفرة والكثرة ٩) اي اذا نزل الى ميدان الوغى ونشر رايتهُ في يوم الحرب لا يزال يتقدّم حتّى يطعن العدوّ بأسلهِ اي رمحهِ

﴿الهجو﴾ كما امتاز الاخطل بالوصف والفخر والمديح كذلك صوَّب الى اعدائهِ سهام الهجاء . وقد رأيتَ في اخبارهِ انَّ القسيس والاساقف قد عاقبـاهُ على تعرُّضهِ لقذف الناس وانَّما هجاء الاخطل مع حدَّتهِ كان مع عَفاف لا تكاد تجد لهُ بيتاً بذيئاً ماجناً اللهمَّ الَّا مـا ندر على خلاف قرنَيهِ جرير والفرزدق فـانَّ ديوانهما مشحون بضروب الالفاظ البذيَّة والعبارات المستقبحة القذعة . فمن هجاء الاخطل قولهُ (ص ٣٠٥) لعشيرة زهير بن جُنْدَب (من الطويل) :

لَعمرُك انَّا من زُهَيرِ بن جُنْـدَبٍ لَدانونَ لو أنَّ القَرابـةَ تَنفَـعُ
فأمَّا إناءُ الخير منهم ففـارغٌ وامَّـا اناءُ الشرِّ منهم فمُـتْرَعُ

ومثلهُ قولهُ في المسمَّى ابا مروان (ص ٣٠٤) يهجوهُ لبُخلهِ (من الطويل) :

كـأنَّ ابا مَرْوان يُنْزَعُ ضِرْسُهُ اذا القومُ قـالوا مَتِّعونا بدِرْهَمِ

واوقعُ منهُ قولهُ في بني اسد (ص ٣١٥—٣١٧) وخصَّ منهم خنجرًا (من الطويل) :

بنو أسدٍ رِجْلانِ رِجلٌ تَذَبْذَبَتْ ورِجلٌ اضافَتْها الينا التَّراتِرُ (١
فما الدينَ حاوَلْتم ولكن دَعاكُمُ الى الدينِ جوعٌ لا يُغَمِّضُ ساهرُ (٢
بني اسدٍ لا تذكروا الفخرَ بينكم فانتُمْ لئـامُ الناسِ بادٍ وحـاضِرُ
بني اسدٍ لا تذكروا المجدَ والعُلى فانَّكمُ في السوقِ كُذْبٌ فواجرُ (٣

وقال يخاطب خنجرًا :

أَخَنْجرُ قد اخزَيتَ قومَك بالتي رَمَتْك فُوَيقَ الحاجِبَين السنابرُ (٤

١) تذبذبت اي تقلَّبت وذهبت الى غيرنا . والتراتر الشدائد
٢) كان بنو اسد بن خزيمة نصارى فأسلم بعضهم (اطلب كتابنا النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة ص ١٢٦، ١٢٨، ١٤٩) ٣) كُذْب مخفَّف كُذُب جمع كَذُوب . ويروى : كذب سامرُ ٤) يشير الى جُرح اصابهُ في جبينهِ في بعض المناوشات . رماهُ بو السنابر اي بنو ام سَنْبَر من بني نصر بن قُعَين

فلو كنتَ ذا عِزٍّ منعتَ بعضهِ جبينَك أنْ تَدْمى عليهِ البصائرُ
فأبدِ لمن لاقيتَ وجهكَ واعترِفْ بشنعاءَ للذِّبّان فيها مصايرُ (١
أمِنْ عَوَزِ الأسماءِ سُمِّيتَ خنجرًا وشرُّ سِلاحِ المسلمينَ الخناجرُ
ولو كنتَ ابصرتَ القنابلَ والقنا وهَبْوةَ يومٍ هيَّجتْها الحوافرُ
برابيةِ الحابورِ ما أقرنَتْ انا خُزَيْمةُ اذ سارت جميعاً وعامرُ
فما لكَ في حَيَّيْ خُزَيْمةَ من حَصًى وما لكَ في قيسِ بنِ عَيْلانَ ناصرُ

﴿الاغراء﴾ للاخطل فيهِ اقوالٌ أحدُّ من السهام كفى منها مثلًا قولهُ (ص١٠٥—١٠٦) للخليفة عبد الملك يحذّرهُ من زُفَر بن الحارث الكلابي احد زعماء ابن زُبَير في محاربة بني اميَّة فقال (من البسيط) :

بني أُمَيَّةَ انّي ناصحٌ لكمُ فلا يَبيتَنَّ فيكم آمناً زُفَرُ
وأتّخذوهُ عدوًّا انَّ شاهِدَهُ وما تغيَّبَ من اخلاقهِ دَعَرُ (٢
انَّ الضغينةَ تَلْقاها وان قَدُمَتْ كالعَرِّ يكمُنُ حيناً ثمَّ ينتشرُ (٣

﴿النسيب﴾ وقد عرف الاخطل النسيب اللطيف فاجاد فيهِ كما في سواهُ قال (ص ٢١١—٢١٢) في مطلع قصيدتهِ التي مدح فيها عكرمة الفيّاض (من الطويل) :

ألا يا أسْلَمي يا امَّ بِشْرٍ على الهَجْرِ وعن عَهْدكِ الماضي لهُ قِدَمُ الدهرِ
ليالِيَ نلهو بالشباب الذي خلا بمُرْتَجَّةِ الأردافِ طيِّبةِ النَّشرِ

---

١) المَصير الموقع. يقول لا تستر تلك الشجّة الشنيعة التي يتراكم عليها الذُّباب وبزرها
٢) الدَّعَر الفساد اي انَّ خارجهُ كباطنهِ دغلٌ وفساد
٣) العَرّ الجَرَب. يريد انَّ ضغينة قلبٍ مهما كمنت فانها ستظهر وتنتشر

أسيلةُ مَجرى الدمع خفّاقةُ الحشا من الهيف مِبرَاقُ الترائب والنَّحرِ (١
وتَبسِم عن ألمى شتيتٍ نباتُهُ لذيذٍ اذا جادت بهِ واضحُ الثَّغرِ (٢
من الجازئاتِ الحُورِ مطلَبُ سِرّها كبيضِ الأُنوقِ المستكنَّةِ في الوكرِ (٣
واني وإيّاها اذا ما لقيتُها لَكالماء من صَوْبِ الغَمامة والخَمرِ

﴿الحِكَم﴾ ولا يخلو ديوان الاخطل من الاقوال الحكمية والامثال الصائبة كقولهِ (٢٥٨) (من الطويل) :

وانَّ امرءاً لا ينثني عن غَوايةٍ اذا ما اشتهتهُ نفسُهُ لَجَهُولُ

وكقولهِ (الديوان ٥٥) (من الكامل) :

وصاحبِ صَبْوةٍ صاحبتُ حيناً فتُبْتُ اليومَ من جَهلٍ وتابا
ونفسُ المرءِ تَرْصُدُها المنايا وتحدُرُ حولهُ حتى يُصَابا
إذا أمَرَتْ بهِ ألقت عليهِ أحدَّ سِلاحِها ظُفُرًا ونابا
وأعلمُ أنني عمّا قليلٍ ستكسوني جنادِلَ او ترابا

وقولهِ (٧٣) (من البسيط) :

اليومَ أجهدُ نفسي ما وَسِعتُ لكم وهل تُكلَّفُ نفسٌ فوقَ ما تَسَعُ

وقولهِ (١٤٣) (من البسيط) :

وبينما المرءُ مغبوطٌ بمأمَنهِ اذ خانَهُ الدهرُ عمّا كان فانتَقلا

---

١) الاسيلة الصقيلة المدَّين. خفّاقة الحشا اي ضامرة الحشا. والهيف جمع هَيفاء. والترائب جمع تريبة موضع القلادة ٢) الثّنا الثّنّة التي تضربُ الى السواد. اراد بالشتيت الاسنان غير المتراصّة المتراكبة ٣) شبهها بالجازئات جمع جازئة وهي الظبية ووصفها بالغفاف والتحصّن

وقولهِ(١٥٨) وهو مسك الختام (من الكامل).:

والنـاسُ هَمُّهُمُ الحيـاةُ ولا أرى طولَ الحيـاةِ يزيدُ غيرَ خبـال
واذا افتقرتَ الى الذخائرِ لم تَجِدْ ذُخرًا يكونُ كصالحِ الأعمالِ

فتكتفي بهذا القليل علَّهُ يبعث في قلوب القرَّاء الرغبـة لدرس شعر الاخطل ومعرفـة خواصهِ ولاسيَّما انَّ حضرة متوَلّي طبعه قد قرَّبهُ منهم بتوفير الاسبـاب لاقتباس منافعهِ الجمَّة

(لها بقية)

منتخب الغافقي (١

ونصّ تعليقَيْن بآخرهِ في الفِرَق الاسلاميَّة

لتوفيق افندي اسكاريوس بدار الكتب المصريَّة

كتب حضرة الطَّلع يوسف اليان افندي سركيس في مقتطف شهر مارس سنة ١٩٢١ ،قالًا يُعلم القرَّاء فيهِ بوجود نسخة مخطوطة قديمة من مختصَر للادوية المفردة جَمْع ابي جعفر احمـد بن مشيد الغافقي(الطبيب الاندلسي المتوفى سنة ٥٦٠ هجرية ١١٦٥م.)

وقد ظهر ان للغافقي المذكور من المخطوطات في دور كتب اوربا (٢ ما يأتي :

١) راجع ترجمته في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة (طبع مصر ٢ : ٥٣) وفي كتاب تراجم اطباء العرب لوستنفلد الالماني (WUESTENFELD : Arabische Aerzte (p. 176 ومن تاريخ الطب العربي لمسيو لوكلرك الفرنسي LE CLERC : Histoire de la Médecine arabe, II, 79

٢) اطلب الجزء الاول من تاريخ الاداب العربيَّة لبروكلمان الالماني صفحة ٤٨٨ BROCKELMANN: Geschichte der arab. Litteratur, 1,488